

طريقهم من خلال الجامعات، والعلماء الذين مارسوا نشاطهم النقدي أولاً في حجرة الفصل الدراسي. وفي هذه الأيام، حيث الصحافة الأدبية الجادة غير وافية بالفرض كما أنها وسيلة غير مأمونة لدعم قلة قليلة تقريباً، فإن الأمر لا بد أن يكون على ما هو عليه. غير أن الأمر يعني أن الناقد المعاصر قد يكون له احتكاك مختلف نوعاً ما مع العالم، وربما كان يزاول الكتابة لمستمعين يختلفون بعض الاختلاف عن أولئك الذين كانوا على عهد أسلافه. ولديّ الآن انطباع مؤداه أن النقد الجاد يكتب الآن لجمهور مختلف ومحدود بدرجة أكبر، وإن لم يكن حجمه أصغر بالضرورة مما كان عليه جمهور القرن التاسع عشر.

ولقد صدمتني منذ وقت غير بعيد ملاحظة السيد ألدوس هكسلي، في مقدمة للترجمة الانكليزية لكتاب «الحكمة العليا»، للطبيب النفسي الفرنسي الدكتور هوير بينوا، حول علم النفس في البوذية الزينية^(١). وكانت ملاحظة السيد هكسلي تتجاوب مع الانطباع الذي خرجت به أنا من ذلك الكتاب الجدير بالتقدير عندما قرأته بالفرنسية، إذ يقوم هكسلي بمقارنة الطب النفسي الغربي بنظام تهذيب النفس في الشرق كما يوجد في الطاوية والزينية^(٢)، فيقول:

«يهدف الطب النفسي الغربي إلى مساعدة الفرد المضطرب على التكيف مع مجتمع يضم أفراداً أقل اضطراباً — أفراداً يُلاحظ أنهم قد تكيفوا بعضهم مع بعض، كما تكيفوا مع المؤسسات المحلية، ولكن ما من بحث يجري حول تكيفهم مع النظام الأساسي للأشياء.. ولكن هناك نوعاً آخر من الحالة السوية — هي حالة الأداء الوظيفي الكامل.. بل إن رجلاً متكيفاً بصورة كاملة مع مجتمع مضطرب يستطيع أن يهتئ نفسه، إذا ما رغب في ذلك، ليغدو متكيفاً مع طبيعة الأشياء».

Zen Buddhism (١)

Tau and Zen (٢)